

الموروث الثقافي والتراث الشعبي في قصة الخونية ل: مريم بوزيد

**The Cultural and Popular Heritage in the Story of Al-Khawniyya
by Meriem Bouzid**

د غنية بوحرة*

المركز الجامعي بريكّة
(الجزائر)

ghania.bouharra@cu-barika.dz

تاريخ القبول: 2024/11/09

تاريخ الاستلام: 2024/02/10

تاريخ النشر: 2024/12/10

ملخص:

تسعى هذه الدراسة إلى كشف مختلف أشكال التراث الشعبي والموروث الثقافي الجزائري من خلال قصة الخونية ضمن مجموعة "سيدات الجلالة" ل: مريم بوزيد، الذي يعكس هوية وانتماء الفرد الجزائري، في زمن تكاد تغيب فيه وتندثر هذه الصور، على الرغم من السعي الحثيث في المحافظة على التراث الثقافي من قبل المهتمين بذلك، وهذا هو الحال بالنسبة للنصوص السردية بمختلف أشكالها. ما حدا بنا إلى طرح الإشكال الآتي:

فيمّ تتمثل صور وأشكال التراث الشعبي في قصة الخونية؟ وهل تمكنت الكاتبة فعلا من الكشف عن الهوية الجزائرية من خلال استدعائها للتراث الشعبي والموروث الثقافي بصفة عامة؟ وسنحاول في هذا المقال الإجابة عن الإشكالية المطروحة من خلال اعتمادنا على وصف وتحليل النماذج التراثية المعتمدة في الدراسة.

الكلمات المفتاحية: الكلمات المفتاحية: الموروث الثقافي، التراث الشعبي، الهوية الجزائرية.

Abstract :

This study aims to reveal the numerous forms of Algerian popular and cultural heritage by examining the in the collection "Sayidet al-Jala" (Ladies of Majesty), written by Meriem Bouzid. It mirrors the identity and sense of belonging of the Algerian people, at a time when such images are fading away, despite the ardent efforts to preserve cultural heritage. This is applicable to all forms of narrative texts.

What do the images and forms of popular heritage in the story of Al-Khawniyya represent? And has the writer effectively revealed Algerian identity by evoking popular heritage and cultural heritage in general? In this article, we will strive to answer the problematic by utilizing the description and analysis of the heritage models used in the research.

KeyWords: : cultural heritage, popular heritage, Algerian identity

المقدمة:

تعد القصة القصيرة أقل الأجناس الأدبية السردية احتفاء بالتراث الشعبي، مقارنة بالرواية والمسرح. لكن على الرغم من ذلك فقد برزت العديد من الاعمال القصصية التي اشتغلت على الموروث الثقافي بمختلف أشكاله، ومن بينهم الكاتبة الجزائرية "مريم بوزيد" التي اشتغلت في معظم قصص سيدات الجلالة على إبراز مختلف صور الموروث الثقافي وأشكال التراث الشعبي الجزائري، وهذا ما تسعى إلى إبرازه هذه الدراسة والكشف عنه، من خلال اعتمادنا على المنهج الوصفي وآلية التحليل.

1. مفهوم الموروث الثقافي والتراث الشعبي:

2.1 الموروث الثقافي:

يعد الموروث الثقافي من أبرز عناصر الهوية والانتماء التي تعكس ثقافة شعب أو أمة من الأمم، لذلك تسعى هذه الأمم جادة إلى الحفاظ عليه عبر الأجيال من أجل فرض الذات وإثبات وجودها وهويتها، وتعد الكتابة الإبداعية من أبرز الوسائل التي سعت جاهدة إلى المحافظة على الموروث الثقافي والتراث الشعبي خاصة. كي يبقى محفوظا في ذاكرة المتلقي. والموروث الثقافي بصفة عامة هو تلك العناصر المادية وغير المادية والأشكال الفكرية والاجتماعية، وكل ما هو مكتوب وشفوي. يميز ثقافة مجتمع من المجتمعات والذي وصل إلينا عبر أجيال وماض بعيد، أو بالأحرى هو «كل ما خلده الانسان من شواهد روحية أو مادية في تراثه الفكري، وروقه الإنساني» (هنشيري، 2017، صفحة 98) وينقسم الموروث الثقافي إلى الموروث الثقافي المادي والموروث الثقافي غير المادي.

أ. الموروث الثقافي المادي: ونعني به «كل ما يصنعه الإنسان في حياته العامة، وكل ما ينتجه العمل البشري من أشياء ملموسة، وكذلك كل ما يحصل عليه الناس عن طريق استخدام فنونهم» (يزيد، 1978، صفحة 74) ومهاراتهم في طرق العيش المختلفة.

ب. الموروث اللامادي: وهو ذلك التراث المعنوي غير الملموس ويشمل «مجموع الممارسات، والتصورات، والتمثلات، وأشكال التعبير، والمعارف، والمهارات، كما تعتبر جزءا، من هذا التراث اللغة والأدب والموسيقى والغناء والحكاية والرقص والاحتفالات وباقي الفنون، وكذا الأساطير والطقوس والعادات...» (هنشيري، 2017، الصفحات 101-102) وغيرها من الممارسات والمهارات ومختلف الثقافات التي تساهم في تأكيد واستمرارية الهوية الوطنية.

2.2 التراث الشعبي:

جاء في لسان العرب مادة وراث: الورث والورث والإراث والوراث والتراث واحد والميراث أصله موراث، انقلبت الواو ياء كسر ما قبلها والتراث أصل التاء فيه واو" (منظور، 199) كل ما ورثه الانسان ووصل إليه عبر حضارة ما.

أما اصطلاحاً: فيعرف "محمد عابد الجابري" التراث بأنه: «الجانِب الفكري في الحضارة العربية الإسلامية: العقيدة، الشريعة، واللغة والأدب والفن، والكلام، والفلسفة، والتصوف» (الجابري، 1991، الصفحات 21-22) أما "جور عبد النور" فيرى بأنه: «ما تراكم خلال الأزمنة من تقاليد، وعادات، وتجارب، وخبرات، وفنون وعلوم، في شعب من الشعوب، وهو جزء أساسي من قوامه الاجتماعي، والإنساني والسياسي، والتاريخي، والخلقي» (النور، 1979، صفحة 02). ولهذا فحاجة المبدع إلى التواصل مع تراث أمته تنبع من إحساسه بالتراث والرغبة في الاستفادة منه واستلهامه وتوظيفه؛ لأن العودة إلى التراث في حياتنا هو جزء من الدفاع عن الذات، وإعادة بناء الذات تنطلق من إعادة بناء التراث وهو ما يمنح الأمة هويتها وكيانها (نوري، 2016-2017، صفحة 14). هذا عن التراث بصفة عامة.

أما عن التراث الشعبي فنجد أنه لا يبتعد كثيراً عن المفاهيم التي صاغها النقاد حول التراث والموروث الثقافي. إذ يمكن تعريفه بصفة عامة بأنه «تلك العادات والتقاليد والقيم والفنون والحرف والمهارات وشتى المعارف الشعبية التي أبدعها وصاغها المبدع عبر تجاربه الطويلة التي يتداولها أفرادها ويتعلمونها بطريقة عفوية ويلتزمون بها في سلوكهم حيث إنها تمثل أنماطاً ثقافية مميزة تربط الفرد بالجماعة كما تصل الحاضر بالماضي» (داوس، 2009، صفحة 18). ويعرفه البعض أيضاً بأنه «أقوال تتناول مظاهر الحياة العامة والخاصة وطرق الاتصال بين الأفراد والجماعات الصغيرة والحفاظ على العلاقات الودية في المناسبات المختلفة بوسائل متعددة، والاحتفال بالمناسبات التي يبدو من طرائقها عدد كبير من معتقدات الشعب الدينية والروحية والتاريخية والتي تتحول إلى رموز تعبر تعبيراً دالاً عن الحدث بوعي مضموني عميق تبدو في مظاهر الاحتفال بالزواج مثلاً فهناك طرق مختلفة تتفق جميعها في أطرها المضمونية العامة كالاختيار، وكيف يتم التقديم والخطبة وكيف يحدث الاحتفال بالخطبة وطقوسها وإعلام الغير بالدف أو بالصوت الزغردة» (بدير، د، ت، صفحة 15) و إلى جانب ذلك أيضاً فإنها تعني بكل المظاهر الثقافية الشعبية كالخرافات والأساطير فضلاً عن الاحتفالات الدينية ومختلف الفنون الأدبية الشعبية كالحكايات الشعبية، والأمثال الشعبية والمعتقدات الشعبية التي يؤمن بها الأفراد والجماعات في فترة من الفترات وهذا ما سنركز عليه في دراستنا هذه .

3. صور وأشكال التراث وجماليته في قصة الخونية:

1.3 المعتقدات الشعبية:

المعتقدات الشعبية هي مجموع الأفكار الشعبية التي يؤمن بها الناس ويتوارثونها جيلاً عن جيل، لتصبح بمثابة قناعات ثابتة وراسخة في أذهانهم، وجزءاً من موروثهم الشعبي وعاداتهم وتقاليدهم التي لا ينبغي التخلي عنها مهما حدث. ومن بينها ما صورته قصة "الخونية" على لسان البطلة الساردة "الخونية نفسها" وهي تسرد تفاصيل حياتها وكل ما تؤمن به وتعتقده فيما مضى وسنعرضها فيما يلي.

أ- الاعتقاد ببركة الأولياء: و «يقصد بها قدرة أولياء الله الصالحين. وهي فكرة وظفها الروائيون في معظم أعمالهم، لأنها تظل مصدراً خصباً للخيال في الجزائر، إذ كان لا حدود للخيال الشعبي» (بابوش، 2007، صفحة 07). وقد رصدنا في هذا النص القصصي على الرغم من قصر حجمه على عدة مظاهر توهم بمدى قدرة الأولياء في معرفة

وإدراك الكثير من الأمور التي ستحدث قبل وقوعها والإحساس بها، وكذا كرامة الولي الصالح الذي وظيفته الساردة بقولها: « سيدي عيسى، مانح الهبات والعطايا، منح لمباركة السبحة، حكمة العلاج والكتاب، موهبة المعالجة، دخلت ضمن كوكبته، وانطلقت هائمة على وجهها، كل يوم في مكان، وكل لحظة بحال، تركت الدنيا والجمل بما حمل » (بوزيد، 2007، صفحة 105)، كما أن بركة الولي عبد الكريم انتقلت إلى مباركة الخونية من خلال مصها لسرة الولي، لتكتمل مشيختها هي الأخرى وقد كانت ترى ما لا يراه غيرها وتحس بحدوث أشياء قبل وقوعها، كما أن جميع رؤاها وأحلامها تتحقق على أرض الواقع؛ حيث تسرد كيف تحققت رؤيتها المتمثلة في أخذ قوة وبركة وبرهان الولي "سي عبد الكريم" من خلال مص سرته في قول الساردة:

« بدأت تمتص حليب غذاء سرته... امتصت الخونية عسل البرهان وحلاوة الصفوة من سرة سي عبد الكريم مرة أولى وزادت الثانية والثالثة والرابعة ثم أوقفها وقال لها: خلي لخبيزة لولادي... وتعاهدوا لأن العرق أنجع وسيلة للذوبان في جسد من نحب وكان وسيلة المريدين ليصلوا إلى مصاف أولياء الله الصالحين، وليعتلوا بركاته وليتزوجوا ببراهينهم ويصلوا لميثاقهم وليقطعوا لجلال الغيب... لكن المريدي يبقى مريدا دائم البحث عن مطلق وعن برهان قوي... وكان لا بد أن تتقاسم الخبرة والبركة بذكاء وعفوية، لهذا منعها سي عبد الكريم من مواصلة امتصاصه لعرقه ودمائمه، حتى يبقى ما يغذي به أبناءه والراغبين في تلك الطريق... كانت لالا الخونية في حالة غيبوبة وألم ونشوة، كانت في اتصال روحياني دافئ حار... لقد لبست ثوبا جديدا، وبدلت جلدتها وزادت روحها امتلاء وشرفا، لقد اكتمل فطامها الروحي. » (بوزيد، 2007، صفحة 105)

من خلال النص السابق يتضح جليا علاقة الخونية الخادمة بالولي الصالح كما وضحت ذلك الساردة وهي تسرد لنا ما حدث للخونية ورغبتها في أخذ بركة الولي "سي عبد الكريم" بكل ما أوتيت به من قوة، ورغبة جامحة في التعالق الروحي مع الولي الصالح. لقد أصبحت هذه الخونية ترى ما لا يمكن لأي شخص أن يراه، تساعد الناس تللمم جروحهم وتحفظ أسرارهم لأنها عهدت على كتمان الأسرار، أصبحت تفهم معنى الخوارق التي تحدث ولا يصدقها البشر، حيث استذكرت حكاية المرأة الشبح التي رأتها ولم تستطع أن تكتم ما رآته فأصيبت بعاهة وكادت أن تفقد حواسها، من يومها تعلمت الصمت. وكنتم عيوب ومثالب الآخرين، وأصبحت قادرة على معرفة وكشف ما يراود البشر من ضعف وحيرة وحتى ما يدور في صدورهم ومكنوناتهم. وعلى الرغم من كل ما تتصف به من صفات خارقة إلا أنها لا تقبل إلى المباهاة والخيلاء.

ب- القدرة على التخصيب والإنجاب: حيث تعتقد "هنية الخونية" بطلقة القصة قدرة الأولياء الصالحين على مساعدتها على الإنجاب من خلال دعائهم المستجاب والذي لا يرد، بل لقد نالت بركة الأولياء وكراماتهم "حيث بدأت هنية الخونية تخطو خطواتها الأولى نحو سر مواهبها الجديدة الربانية... بعد أن اعتقدت أنها لن تنجب أبدا وأنها غدت » أرضا مواتا، وأن العقم سكن رحمها... لكن دعوة "الواصلين" (كما تسميهم هنية) حلت عليها، وأنجبت أولادا... لقد أنبت الزرع » (بوزيد، 2007، صفحة 103)، ومن ذلك ما جاء أيضا على لسان الساردة وهي تصف لنا قدرة الخونية على تخصيب الأرحام والمساعدة على الإنجاب بعد العقم وعدم القدرة على الإنجاب من طرف النساء اللواتي

يقصدن بركتها ومساعدتها بعد أن نالت بركة الأولياء الصالحين فتقول: « خالتي هنية خارج المكانة الرمزية والاحتفالية التي تحوم حولها في ثقافة تبجيلية، لمن ينجي الغيب، ويخضب الأرحام، امرأة مكافحة، تشتغل ليل نهار رأسها الصغيرة تعمل باستمرار... » (بوزيد، 2007، صفحة 90) إذن فهي تعمل جاهدة على مساعدتهن على الحمل بعد يأسهن؛ لذلك حظيت بالتبجيل الكبير والاحترام لشخصها من طرف أفراد عشيرتها ومورديها.

ج-الخونية وكراماتها: تحكي قصة الخونية كرامة هنية الخونية التي منحتها لها والدتها مباركة أيضا والتي منحت لها من طرف الولي الصالح، فبعد إحساس الخونية الأم بقرب أجلها منحت بركة كرامتها لابنتها هنية كي تحل محلها وتعتلي منصة المشيخة، من خلال منحها المسيحة والكتاب اللذان تحصلت عليهما هي الأخرى من طرف رجال صالحين عهدوها بأن تكون خير خلف لخير سلف، لينتقل هذا الإرث الرباني، إلى ابنتها وقالت لها: «عطيتك السبحة والكتاب الي تلوحها خطا احي صواب،

راكي تنخوناي من اليوم (أي أصبحت خونية تنفع الناس ببركاتهما)

وعطاتي الميثاق الخطرة الأولى، تحلفلي العاهد

تقولي لي فيا راها فيك

وماليوم لي تقوليها قاع تصير» (بوزيد، 2007، صفحة 107)

لقد انتقلت كرامات الخونية الأم مباركة لابنتها هنية ومنحتها إياها، وأصبحت تتصف بالكثير من الصفات التي تتصف بها والدتها، وقدرات فائقة وخارقة لا يمكن لأي شخص عادي أن يمتلكها فالخالة "هنية ووالدتها، أخذتا الموهبة والبرهان واكتسبتا تلك المواهب الربانية من بركات "سيدي عيسى" أيضا، حيث بدأت الأم «تتروحن أو تصعد إلى عوالم الغيب، بعدما اطلعت مصادفة بأشياء وظواهر لم تعهدها ولم ترها عينها قط» (بوزيد، 2007، صفحة 100) ومن بين هذه الكرامات ما روته لنا الخونية الأم حينما كانت رفقة ابنتها هنية بين الحقول المزهرة والحجارة المدمية فأخبرتها بأنها ستلتقيان بأولاد أكل بصفته على النحو الآتي: قائلة:

« رانا نمشو

بصح نلقاو زوج ذراري

واحد لابس لخضر

وآخر لابس لصفير

اللي لابس لخضر على ليمنة

ولي لابس لصفير على ليسرى

واللي لابس لخضر نعتقوه ونحبوه» (بوزيد، 2007، صفحة 103)

وقد برز فعلا طفلان أحدهما يرتدي لباسا أخضر، بلون الجنة، والثاني مسكين على جسده لباسا أصفر وأحمر بلون الحقول في الصيف وسحنة الوجوه الشاحبة المريضة، والأراضي البور الجدباء... لقد كان ذلك رمزا للنار أو محذرا منها كما اشارت إلى ذلك الخونية.

د-التدخين كرامة البرهان: إذا كان التدخين آفة اجتماعية مضرّة بالصحة وينصح الأطباء بالابتعاد عنه واجتنابه لتفادي الإصابة بالعديد من الأمراض المزمنة، فإن الحالة هنية لا يمكنها الاستغناء عنه باعتباره مصدر إلهامها الرباني وكرامة منحت لها ولا يمكنها التخلي عنه في حضرة الغياب، ف «بمحركة غير إرادية، تبحث الخونية عن علبة الكبريت في صدرها، تخرجها وتنادي على إحدى بناتها:

يا طفلة شوفي كشما بقالي باكي دخان

جيبه...» (بوزيد، 2007، صفحة 98)

«لخالتي هنية حكاية مع السجارة حكاية تشكل لب قضيتها، وتربط بين ضفتي القداسة والدنس، إنه تمفصل الديني بالديني، الجسد بالروح، الروحاني بالواقعي، فالمرأة المدخنة، أو الشمامة، شخصية تحوم حولها الحيات والهلالات، والوقار والشفقة، فالدخان والشمّة يأخذان بلب صاحبهما، ويفقدانه الصواب ويصبحون ممن:

-حكم عليهم الدخان مساكن،

أو حكمت عليهم الشمّة ...

وهذا مسكون بشيء ما ويحتكم إلى قوة خارقة، أو موهبة رائدة» (بوزيد، 2007، صفحة 99)

فالدخان إذن؛ كما جاء في قصة "الخونية" «من أسباب البرهان والكشف عن الحقائق التي لا تتأتى إلا من أوتي هذه الحكمة الربانية حسب "هنية الخونية" بطلة القصة، حيث تسرد كيف تم لها ذلك بعد أن منحها الولي الصالح بركته، والذي "قال لها: اشربي الدخان ابيان البرهان

كي شربت الدخان خارجة لبرة

لداخل

السما ما عدش سما

هو قاللها

كي نقولك السبحة والكتاب

أولوحها

تلوحها مباركة

خطا اجي صواب

السبحة والكتاب

تلوحها مباركة خطا اجي صواب

قالها محسوب تكذيبها اجي صواب

رانا اعطينلك السبحة والكتاب» (بوزيد، 2007، صفحة 100)

وتقول الساردة أيضا في وصف حال الخونية: «البت واستعانتها بكرامة الدخان والتدخين: "خالتي هنية " خونية وبتت الخونية الله يعطينا عنايتها وعناية الصلاح، فهي مسكونة بأحوال وبحال، ويتضح جبينها بحبات عرق فضية،

تعكس نفسية مشتاقة لعالم الروحانيات، إنها تريد أن تخبر عن شيء تريد الإمساك به تسرع بإشعال السيجارة، تشد نفسا وراء آخر بسرعة، وبدون انقطاع، ترتعش، تستنشق بعمق لتصل لأعماق المريض المهلكة،

أه الدخان اجيب البرهان،

الدخان اجيب البرهان،

ما الخونية هذا ما كان في فمها،

كي يجيها الحال» (بوزيد، 2007، صفحة 98) وكأن الساردة بذلك تريد أن تكشف عن حقيقة الدخان وقدرته في الكشف والإظهار في حالة من السكر والغياب الذي يجعلها ترى ما لا يمكن رؤيته، حيث أن هنية الخونية "أخذت الموهبة الربانية والبرهان من أمها مباركة الخونية، حيث بدأت تتروحن وتتعلم الروحانيات وتصعد إلى عوالم الغيب كما تروي الساردة بعدما اطلعت صدفة بأشياء وظواهر لم تعهدها، ولم ترها عينها قط.

2.3 العادات والتقاليد:

أ- الوشم والكحل و أنواع الزينة: يعد الوشم في الثقافة الجزائرية من علامات جمال المرأة، لذلك تحرص النسوة على وشم وجوههن بمختلف الأشكال التي توحى إلى المرأة الأوراسية وجمالها وقد برز ذلك أكثر من خلال الصورة المرافقة لقصة الخونية التي تحاول أن تحاكي صورة المرأة الخونية والوشم الذي زينته به وجهها (الجبهة والذقن وكذا الخدين)، فوجد الساردة تصفها وقد تزينت به ويظهر أكثر وهي « تلملم شفيتها حتى تصل إلى نقطة الوشم الموسومة على شفيتها العليا... فهنية الخونية امرأة تتصف بقدر من الجمال، امرأة عادية جدا تبكي مع المتألمين، وتشارك السعداء فرحتهم، شاركت في تحرير الأرض وساهمت بكل ما تملك، أرملة وأم لأربعة بنات» (بوزيد، 2007، صفحة 90). كانت أمهن قدوتهن في الاهتمام بأنفسهن، فكانت بناتها أكثر حرصا على الاهتمام بجمالهن وأناقتهن ليظهرن في أحسن صورة للزائرات اللواتي يحرصن على زيارة والدتهن. «بنات خالتي هنية يحسنّ فن التزين، والتكحل، وإبداع تسريحات الشعر، كذلك أخذن ميزة الكرم من أمهن، ويسرعن في إعداد الشاي والقهوة»، (بوزيد، 2007، صفحة 93) وطبعا هذا إن دل على شيء فإنما يدل على التحلي بصفات أمهن من حب الاهتمام بنفسها وكرم الضيافة

ب- الخونية وكرم الضيافة:

من أكثر ما تتصف به هنية الخونية كما سبق وإن أشرنا كرم الضيافة؛ وذلك لكثرة مورديها وزوارها ومحبيها وطالبي بركاتها ودعواتها، فتراها كما وصفتها الساردة «تشعل نارا وحطبا، لتقضي على درن الأيام ومرارتها، ولتوقد آفاقا للمستقبل. بكرم لا يوصف، وبكلمات هادئة كاللوح، تستقبل " لالا الخونية" ضيوفها وترحب بهم، للكلام عن جديد الدنيا، وما علق بالذاكرة من حنين، وبكل فضول» (بوزيد، 2007، صفحة 98)، بل لقد تعدى كرم لالة مباركة الخونية بأن تكرم ضيوف الرحمن وقد رأته من بعيد وتطلب من زوجها ذبح الشاة لاستقبالهم فتحكي الخونية الأم ذلك قائلة: "في ليلة من الليالي، سمعت هاتفا، يهتف لها بأن "جمال القدرة" على هيئة ضيوف قادمين لبيتها، طلبت الخونية الكبيرة من زوجها أن يذبح الشاة التي يملكونها ويسلخها لتحضير العشاء للضيوف غير العاديين الذين سيطرقون بابهم، لكن الزوج رفض ذلك... وقام الجيلالي الابن الأكبر بذبح وسلخ الشاة لكنهم أمروها بأن لا تأكل

من تلك الذبيحة لا لحمها ولا كبدها...وعندما قرب موعد مجيئهم طلبت من زوجها الابتعاد عن باب الدار، ليفسح لهم الطريق، لكنه رفض كالعادة وأمرها فهي في نظره مجنونة، مهووسة، فما كان منها إلا أن دعت عليه قائلة:

«روح انديرلك قاذك شيخ

وخلالك ربح

ولي تاكلها قاع اطيح

تواصل خالتي هنية في وصف حالة والدتها تلك الليلة:

وانا قاتلي نوضي،

قتلتها وين، قاتلي اخرجي لبره،

راك تلقاي زوج فرسان،

كانت قريب الوحدة تاع الليل

أو نلقى زوج رجالة جايين

راكبين على زوج حمير

الراجل قالي واشن

قتللو قائللك ما اعطيني زوج قوارة

ابنتي حتى أنا عندي غير زوج قوارة

قال: اشربي الدخان ابيان البرهان

كي شربت الدخان خارجة لبرة

لداخل

السما ما عدش سما

هو قاللها

كي نقولك السبحة والكتاب

أولوحها

تلوحها مباركة

خطا اجي صواب

السبحة والكتاب

تلوحها مباركة خطا اجي صواب

قالها محسوب تكذبيها اجي صواب

رانا اعطينالك السبحة والكتاب» (بوزيد، 2007، صفحة 111)، فتلتقي بأحد أولياء الله الصالحين «سيدي عيسى، مانح الهبات والعطايا، منح لمباركة السبحة، حكمة العلاج والكتاب، موهبة المعالجة، دخلت ضمن كوكبته،

وانطلقت هائمة على وجهها، كل يوم في مكان، وكل لحظة بحال، تركت الدنيا والجمل بما حمل» (بوزيد، 2007، صفحة 111) لتبدأ حياتها الجديدة مع مغامرات الكشف والتجلي وبركة علاج المرضى ومنح الهبات والعطايا.

3.3 الحكاية الشعبية:

بنيت معالم قصة الخونية على طريقة الحكايات الشعبية قديماً، حيث الحكواتي يجلس بين جمهوره ويقص عليهم الحكايات الشعبية وقصص الجن والعفاريت كما في قصص ألف ليلة وليلة، إذ نجد لالة هنية الخونية" هي الأخرى تروي للنسوة قصتها ومكانتها في المجتمع وعلاقتها بالأولياء الصالحين، وقدرتها الخارقة في إشفاء المرضى وتخفيف الأرحام... ومن بين هذه الحكايات ما سرده "الخونية" حول قصة زيارتها لأحد الصالحين، الذي يسمى "سي عبد الكريم" للتبرك به وأخذ البرهان والبركة منه، كما رأت ذلك في حلمها أو ما شابه وهو يصلي صلاة الفجر، وكان لها ذلك فعلاً في الواقع، حيث أن "سي عبد الكريم" قد رآها آتية إليه قبل أن تدق الباب وهو الذي يستشرف حدوث الأشياء ويراها قبل حدوثها كما هو حال أولياء الله في اعتقاد الناس في موروثنا الشعبي، في قوله مخاطباً زوجته: «مرا خونية جات نوضي...» (بوزيد، 2007، صفحة 105) وبأن الخونية في طريقهم إليه وقد كان يصلي الفجر كما رآته الخونية، في قول الساردة التي تروي أحداث هذه الحكاية الشعبية: «لقد كان يصلي صلاة الفجر أو على وشك الانتهاء، سلم ونادى على زوجته بأن الخونية في طريقها إلينا، أسرع لاستقبالها لدرجة أنه لم يكمل لبس نعله» (بوزيد، 2007، صفحة 105) وحكايات أخرى تعكس علاقة الخونية بالأولياء الصالحين وقدراتها الفائقة والخارقة في الكشف وتجلي الحقائق، ما يجعل النسوة خاصة يتقربن منها ويصدقن كل ما تقوله لهن .

4.3 الأمثال الشعبية:

الأمثال الشعبية في أبسط تعريفاتها هي نتاج التجربة الإنسانية وخلاصة تجربة عاشها الإنسان في فترة زمنية بعيدة، توحى إلى حكمة صاحبها والعبرة المأدفة المستقاة من المثل المجهول المصدر. ويعرفها البعض بأنها: «أحلى الكلام وأنبله، وأشرفه وأفضله، لقللة ألفاظها وكثرة معانيها، ويسير مؤونتها على المتكلم، مع كبير عنايتها وجسيم عائدها» (الجعفري، 2014)

أما عن الأمثال الشعبية الموظفة في هذه القصة فهي وإن كانت قليلة، فإنها معبرة للحالة الموظفة لأجلها وخادمة للنص. فقد وظفت الخونية المثل الآتي: «الزين في السعد ماشي فالرمة» للتعبير عن سوء حظ بناقن اللواتي لم يتزوجن رغم جمالهن، وأن الجمال ليس كل شيء، بل إن الفتاة الجميلة عادة ما تعاني من سوء الحظ الذي يلاحقها دائماً، كما أكدت ذلك الخونية في القصة.

أما المثل القائل: «ترفد الغن وازيد القمة (الغمة)» (بوزيد، 2007، صفحة 91) فيشير إلى تحرر هنية وجرائها وشطارتها التي فاقت نساء أسلافها، أضف إلى ذلك فإنها لا تحب من يسيطر عليها ويتحكم فيها، لذلك كان يُنظر إليها على أنها سيدة النساء وأنبلهن وأشرفهن وأقواهن. عكس ما كان يعرف عن المرأة في ذلك الوقت من قهرها وحرمانها من أبسط حقوقها.

«كل وقت بوقتو،

ولي فاتو وقتو،

ما يدور على وقت الغير» (بوزيد، 2007، صفحة 98) ويقابله في بعض اللهجات المثل القائل: لي فاتو وقتو ما يطمع في وقت الناس، أي كل فرد يعيش عصره والحياة التي تناسب عمره، لذلك فالخونية هنية ترى أنها في عمر لا يسمح لها بالعشق وإغراء الرجال بعد أن أكدت لها النسوة على جرأتها واستيلائها على قلوب الرجال، إلا أنها ترى أن ذلك كان في زمن مضى عندما كانت شابة، أما وقد بلغت من العمر عتيا فقد وجب عليها المحافظة على صلاحها وزيارة بيت الله وكذا قبر الحبيب المصطفى وهذا أقصى ما تتمناه.

من خلال ما سبق يتضح جليا أن هذه القصة على الرغم من قصر حجمها مقارنة بالعمل الروائي إلا أنها غنية جدا بعناصر الموروث الشعبي، وبمختلف أشكاله التراثية، حيث إن الخونية في حد ذاتها أصبحت قصة من التراث الشعبي الجزائري، لأنها كانت موجودة فعلا في المجتمعات الجزائرية قديما، وكانت الخونيات يحرصن أشد الحرص على خدمة الأولياء للصالحين، باعتبارهن من بين النسوة المحظوظات اللواتي يعشن في قصر الولي الصالح، ويعملن على خدمته وخدمة مورديه؛ حيث يوفر لهن كرم العيش، بل وقد يمنح كرامته لإحدهن كما فعل الولي الصالح "سيدي عيسى" مع الخونية مباركة وابنتها هنية.

- إن قصة الخونية من أكثر القصص التي اشتغلت على الموروث الثقافي الجزائري، واستحضرت التراث الشعبي في كامل صفحاتها ومنذ بداية القصة، ما جعل النص يعكس هوية المجتمع الجزائري في فترة من فترات تاريخ الجزائر، حيث كانوا أكثر إيمانا وتصديقا وبرا بالأولياء الصالحين.

- ومما تجدر الإشارة إليه أن معظم الدراسات تهتم بدراسة النصوص الروائية باعتبارها من أكثر النصوص استيعابا لمختلف الأشكال والفنون والأنواع الأدبية، في حين نلاحظ قلة الدراسات التي تهتم بالنصوص القصصية الجزائرية. على الرغم من ظهور ثلة من الأقلام والنصوص القصصية التي تستحق فعلا دراستها ومقاربتها وفق المناهج والنظريات الحديثة وما بعد الحديثة.

قائمة المراجع:

- الجبيري، م. ع. (1991). *التراث والحداثة دراسات ومناقشات*. بيروت لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية.
- الجعفري، أ. أ. (2014). *اللهجة التونسية الجزائرية (معجمها، بلاغتها، حكمها، وعيون من أشعارها)*. الجزائر: منشورات الحضارة.
- النور، ج. ع. (1979). *المعجم الأدبي*. بيروت لبنان: دار العلم للملايين.
- بدير، ح. د. ت. (أثر الأدب الشعبي في الأدب الحديث). الاسكندرية مصر: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر.
- بوزيد، م. (2007). *سيدات الجلالة، قصة الخونية*. الجزائر: عاصمة الثقافة.
- داوس، ح. (2009). *حكايات سمراء، مختارات من الحكايا الشعبية الإفريقية*. الجزائر: منظور، أ. (199). *لسان العرب*. بيروت لبنان: دار صادر.
- نواري، خ. (2016-2017). *توظيف التراث في روايات عبد الملك مرتاض (أطروحة دكتوراه)*. أدرار الجزائر: جامعة أدرار.
- هنشيري، إ. (2017). *الموروث الثقافي الجزائري الواقع والآفاق*. مجلة التراث ع 98.17, p. 98.
- يابوش، ج. (2007). *الأدب الجزائري الجديد، التجربة والمآل*. الجزائر: منشورات مركز البحث في الأنثروبولوجيا الثقافية والاجتماعية.
- يزيد، أ. أ. (1978). *محاضرات في الأنثروبولوجيا الثقافية*. بيروت لبنان: دار النهضة العربية.